الرسالة

(١ كورنثوس ٤: ٩-١٦)

يا إخوةُ إنَّ اللهَ قد أبرَزنا نحنُ الرسلَ آخِري الناس كأنَّنا مجعولونَ للموت. لأنَّنا قد صِرنا مشهداً للعالمِ والملائكةِ والبشر* نحنُ جهَّالٌ من أجلِ المسيحِ أمَّا أنتم فحكماءُ في المسيح. نحنُ ضُعفاءُ وأنتم أقوياءُ. أنتم مُكرَّمون ونحن مُهانون* وإلى هذه الساعة نحنُ نجوعُ ونعطَشُ ونَعْرى ونُلطَمُ ولا قرارَ لنا* ونتعَبُ عاملين. نُشتَمُ فنبارِك. نُضطَهَدُ فنحتمِل* يُشنَّعُ علينا فنتضرَّع. قد صِرنا كأقذارِ العالمِ وكأوساخٍ يستخبثها الجميعُ إلى الآن* ولستُ لأُخجِلَكم أكتبُ هذا وإنَّما أعِظُكم كأولادي الأحبَّاءِ* لأنَّه ولو كانَ لكم ربوةٌ منَ

الرسول تيطس

تُعيّد كنيستنا المقدّسة في ٢٥ آب للقدّيس الرسول تيطس، أحد الرسل السبعين وأوّل أسقف لجزيرة كريت. وُلد الرسول تيطس في جزيرة كريت من والدين وثنيين. كان والده رجلًا مشهورًا في أوساط كريت، وذا نفوذ عالٍ عند قريبه والي الجزيرة. درس الرسول تيطس، في صباه، الفلسفة الهلّينيّة والشعر والأدب اليونانيَّين. عاش، قبل اهتدائه إلى الإيمان المسيحيّ، حياةً فاضلةً تحت تأثير العلوم التي أتقنها والفلسفة التي طبعت حياته، على عكس العادات الوثنيّة التي كانت سائدةً بين سكّان جزيرة كريت. يقول عنه القدّيس إغناطيوس إنّه عاش حياةً صالحةً وحافظ على عفّته وبتوليّته حتّى رقاده.

يروي التقليد الشريف أنّ صوتًا طلب من تيطس في الحلم أن يتخلّى عن الفلسفة اليونانيّة التي لا تؤدّي إلى خلاص النفس، ويبحث عمّا يخلّصه. بعد هذا الحلم، انكبّ تيطس على البحث عن طريق آخر. بدأ يغوص في أعماق الديانة اليهوديّة، وأصبح ضليعًا في تعاليم أنبياء العهد القديم. أكثر ما أثّر فيه كان الإصحاح ٤٧ من سفر إشعياء النبيّ الذي يصف حالته الروحيّة تمامًا. يتكلّم هذا الإصحاح على سقوط مدينة بابل التي كانت تظنّ نفسها أفضل مدينة على وجه الأرض، وكيف كشف الله لها أنّها لا تساوي شيئًا. أحسّ الرسول تيطس، عند قراءة هذا الإصحاح، أنّ الكلام فيه موجّه إليه؛ فهو الذي كان يعرف كلّ علوم عصره ويعشق الفلسفة، لا يساوي شيئًا بعيدًا عن رحمة الله.

في تلك الأيّام، ذاع صيت الربّ يسوع على أنّه نبيّ عظيم في فلسطين، يعلّم الناس بسلطانٍ عظيم، ويجترح الكثير من المعجزات، فوصل هذا الصيت إلى كريت. عندئذٍ، أرسل والي كريت قريبَه تيطس إلى أورشليم ليعرف أكثر عن هذا النبيّ العظيم. في أورشليم، تعرّف تيطس إلى الربّ يسوع وسمع تعاليمه وعاين معجزاته وشَهِد آلامه وموته وقيامته المجيدة وصعوده إلى السماوات. يوم العنصرة العظيم، كان الرسول تيطس مع تلاميذ الربّ يسوع. بعد حلول الروح القدس

العدد ٢٠١٩/٣٤

الأحد ٢٥ آب

تذكار الرسول تيطس

اللحن الأول

إنجيل السَحَر العاشر

عليهم بشكل ألسنةٍ ناريّة، سمع تيطس الرسل يتكلّمون بألسنة متنوّعة، وسمع لغته الأمّ الكريتيّة، على حسب ما نقرأ في سفر أعمال الرسل (٢: ١١).

إقتبل الرسول تيطس المعموديّة على يد الرسول بولس، وأصبح أقرب تلاميذه، ورافقه في رحلاته التبشيريّة، وتمّم كلّ المهمّات التي أوكلها إليه بنجاحٍ وأمانة. حوالى العام ٦٥، قُبيل سجنه الثاني، أرسل الرسول بولس رسالته الرعويّة لتيطس الذي يدعوه ابنه بحسب الإيمان كما نقرأ في مطلعها: «إلى تيطس، الإبن الصريح حسب الإيمان المشترك: نعمة ورحمة وسلام من الله الآب والربّ يسوع المسيح مخلّصنا» (تي ١: ٤).

عندما سيقَ الرسول بولس إلى روما ليحُاكم كمجرمٍ أمام قيصر، ترك تيطس جزيرة كريت وذهب إلى روما ليخدم «أباه» بولس. بعد استشهاد بولس عاد تيطس إلى كريت واستقرّ فيها، وهناك رعى مسيحيّي الجزيرة بورع وتقوى، كما عمل على تبشير سكّان الجزيرة الوثنيّين بالمسيح ليؤمنوا به أنّه الإله الوحيد. أنعم الله عليه بنعمة اجتراح المعجزات، فكان يشفي أمراض شعبه. إستعان تيطس بهذه الموهبة ليبشّر وثنيّين كانوا يقدّمون عبادةً لأحد آلهتهم في عيده. فقد حاول أوّلاً أن يبشر الجمع الحاضر في العيد من خلال العظات، لكن عندما رأى أنّ الكلمات لا تكفي ليؤمنوا ببشارته، صلّى إلى ربّه رافعًا يديه، فتحطّم تمثال الإله وسقط فتاتًا أمام عابديه الذين خافوا، وآمن بعضهم بكلمات تيطس. تكرّر هذا الحدث عدّة مرّات حتّى آمن الكثير من سكّان كريت. رقد في الربّ بسلامٍ في السابعة والتسعين بعد أن رسم للجزيرة أساقفةً وشمامسة، وقد أسلم الروح قائلاً: «يا ربّ، قد حفظتُ الإيمان، ثبّتُ شعبك في مخافتك، فاقبل الآن روحي».

مثل الكثير من القدّيسين، ترك الرسول تيطس العلوم الأرضيّة ليرتقي إلى علومٍ سامية من نوع آخر بهدف الحصول على خلاص نفسه. وعى هذا القدّيس العظيم أنّ أثمن ما في هذه الحياة الأرضيّة هو السعي لخلاص النَّفس، وأنّ كلّ أمر آخر ثانويّ وفان. هذا هو جوهر الحياة المسيحيَّة، السعي لاقتبال الخلاص، الذي لا يحصل، بحسب إيماننا، إلّا بقبول المسيح وإعلانه أنّه ربّ وإله وسيّد على حياتنا. تدعونا الكنيسة، في كلّ جوانب حياتنا، إلى السعي لخلاص نفوسنا. هي تعطينا سبيل الوحدة مع ربّنا يسوع المسيح في الأسرار والصلوات، وتطلب إلينا أن نثق برحمته ونطلبها مرارًا وتكرارًا. من جهة أُخرى، تقدّم لنا تعاليم الربّ يسوع وآياته، التي تهدف فقط إلى خلاصنا، والتي يقول عنها الإنجيليّ يوحنّا انّها «قد كُتبت لكي تؤمنوا بأنّ يسوع هو المسيح ابن الله، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه» (يو ٢٠: ٣١).

التربية المسيحيّة بحسب الرسول بولس

نعيّد اليوم للرسول تيطس، أحد السبعين، الذي كان تلميذًا لبولس الرسول، وأصبح مربّيًا لأهل كريت، منشئًا إيّاهم على تعاليم الربّ يسوع. التربية المسيحيّة خبرة تعلّميّة يعيشها المؤمن (فرديًّا أو جماعيًّا) تُحدث تحوّلاً في حياته، ينعكس إيمانًا وشهادةً للثالوث القدّوس. تبرز لنا بشارة بولس الرسول مثالاً ونموذجًا في التربية المسيحيّة، سنأتي انطلاقًا

المُرشدينَ في المسيحِ
ليس لكم آباءٌ كثيرون*
لأنّي أنا ولَدتكم في
المسيح يسوعَ بالإنجيل*
فأطلب إليكم أن تكونوا
مقتدينَ بي.

الإنجيل

(متى ١٧: ١٤-٢٣)

في ذلك الزمانِ دنا إلى
يسوعَ إنسانٌ فجثا له
وقال يا ربُّ ارحمِ ابني
فإنَّهُ يُعذَّبُ في رؤوسِ
الأهِلَّةِ ويتألَّم شديداً لأنَّه
يقعُ كثيراً في النار
وكثيراً في الماء* وقد
قدَّمْتُهُ لتلاميذك فلم
يستطيعوا أنْ يَشْفوهُ*
فأجاب يسوع وقال: أيُّها
الجيلُ غيُر المؤمنِ
الأعوجُ إلى متى أكونُ
معكم. حتى متى
أحتمِلُكم. هلمَّ به إليَّ إلى
هنا* وانتهرهُ يسوعُ
فخرجَ منهُ الشيطانُ
وشُفي الغلامُ من تلكَ
الساعة* حينئذٍ دنا
التلاميذُ إلى يسوعَ على
انفرادٍ وقالوا لماذا لم
نستطِعْ نحن أنْ نُخرِجَهُ*
فقال لهم يسوع لِعدمِ

إيمانِكم. فإنّي الحقَّ أقولُ لكم: لو كانَ لكم إيمانٌ مثلَ حبَّةِ الخردلِ لكنتم تقولون لهذا الجبلِ انتقِلْ من ههنا إلى هناك فينتقِل ولا يتعذَّرُ عليكم شيءٌ* وهذا الجِنس لا يخرجُ إلَّا بالصلاة والصوم* وإذ كانوا يتردَّدون في الجليل قال لهم يسوع إنَّ ابنَ البشر مزمعٌ أن يُسلَّمَ إلى أيدي الناس* فيقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم.

تأمل

«لأنّي أنا ولَدْتُكم في المسيحِ يسوعَ بالإنجيل. فأطلبُ إليكم أن تكونوا مقتدينَ بي».

الإصلاح غير الموصوف الذي لخلاصنا لا يترك لنا مجالاً للكبرياء ولا للكسب. فمن جهة، «ليس لنا شيء لم ننله» (١ كو ٤: ٧)، ومن جهةٍ أخرى، نحن منبَّهون باستمرار إلى عدم إهمال مواهب نعمة الله (١ تيم ٤: ١٤). فالذي يتداركنا بعونه إنما يستحثنا بحقّ عن منها على ذكر ثلاث سمات للتربية المسيحيّة الفعّالة يمكن استخلاصها من كرازته.

أوّلًا، تأخذ التربية المسيحيّة في الاعتبار الأطر الروحيّة والثقافيّة والاجتماعيّة المتنوّعة التي يحيا فيها الناس، وتؤازرهم في مسار تحوّلهم نحو الإيمان الحقيقيّ. هذا نراه جليًّا في مقاربة الرسول بولس مع اليهود واليونانيّين. فقد خاطب اليهود مبيّنًا لهم أنّ وعود الله لإبراهيم وموسى، كما نبوءات العهد القديم، تتحقّق جميعها بالربّ يسوع: «الله، بعدما كلّم الآباء بالأنبياء قديمًا، بأنواعٍ وطرق كثيرة، كلّمَنا في هذه الأيّامِ الأخيرة في ابنه، الذي جعلَه وارثًا لكلّ شيء، الذي به أيضًا عمل العالمين» (عب١: ١–٢)، مُشدّدًا على أنّ الناموس الذي يعيشون تحت قيوده كان مؤدّبًا لهم فقط، ليرشدهم إلى المسيح، فيتبرّروا لا بأعمال الناموس بل بالإيمان بالربّ يسوع (غل ٣: ٢٤). يستذكر بولس مع اليهود خبرات أجدادهم مع موسى حتّى يؤكّد لهم أنّ المسيح كان، ولا يزال، مرافقًا لهم، وهو الذي تجاهم من عبودية فرعون (١كو ١٠: ١–٤). أمّا اليونانيّون الوثنيّون، فتوجّه إليهم من منبر الآريوس باغوس، حيث مجلس الأدباء والمفكّرين (أع ١٧) وخاطبهم بالحجّة والبرهان، مبيّنًا لهم أنّ «الإله المجهول» الذي خصّصوا له مذبحًا هو الله الخالق وربّ السماء والأرض (أع ١٧: ٢٣)، ثمّ دعاهم إلى الاهتداء فالتوبة والإيمان. علم الرسول بولس أنّ النفس البشريّة تشتاق لمعرفة الإله الحقيقيّ، لذلك انطلق ممّا يعلمه سامعوه، واستفاد من تساؤلاتهم، فقادهم إلى المعرفة الحقّة. لا يخلو هذا المسار من «الاستفزاز البنّاء» الذي يدفع بالمتعلّم (أو المتلقّي) نحو البحث عن الحقيقة. التربية المسيحيّة هي زعزعة للمفاهيم القديمة والجهل الذي نعيشه، ودعوة للتوبة، حتى نقبل التعاليم والإعلانات الإلهيّة المحيية (١كو١: ٢٢–٢٣).

ثانيًا، تقود التربية المسيحيّة المتعلّمَ نحو الفهم الذي هو أساس النموّ في الإيمان والحياة مع المسيح. نرى الرسول بولس يطوف العالم حتى يحرّر، بنعمة الله، الشعوبَ من «الجَهلِ الَّذي فيهم بسَبَب غلاظةِ قُلُوبهم» (أف ٤: ١٨). سعى بولس أن يُفسّر للشعوب المعنى الحقيقي للأحداث الخلاصيّة التي عملها الربّ يسوع، حتّى لا يكون تذكُّرهم لتلك الأحداث أو احتفالهم بها صُوريًّا يعبّر عن هويّة اجتماعيّة عوضًا عن فهم راسخ للتدبير الإلهيّ. أرست التعاليم البولسيّة أسس العقيدة المسيحيّة في عدّة مجالات أبرزها الصلب والقيامة. إذ فيما يختصّ بقيامة الربّ من بين الأموات، ينقل بولس البشرى السّارة (١ كو ١٥: ١–٥)، لكنّه لا يكتفي، بل يشدّد على الخلاص الذي وهبه الله لنا بموت ابنه وقيامته (رو ١٠: ٩؛ أف ٢: ٤–٦). إذًا، التربية المسيحيّة تضع أمام عينَيّ المؤمن قيامةَ الربّ والخلاص الذي أتمّه على الصليب. أمّا الخلاص، بالنسبة إلى بولس، فهو المصالحة مع الله والإيمان بأنّ الصلب والموت لا بدّ من أن تتبعهما القيامة التي تعزّينا وتقوّينا في شدائدنا (رو ٨: ٣١–٣٤). القيامة ركيزة إيماننا المسيحيّ (١كو ١٤: ١٥) ومنها يبرز الدور التربويّ الذي أدّاه رسولنا في إرساء فهم جديد لحدثَين مهمَّين في حياة المؤمن: أوّلًا، المعموديّة التي هي موت وقيامة مع المسيح وانعتاق من

الخطيئة وحياة جديدة مع المسيح (رو ٦)، وثانيًا، الموت الذي أرعب الشعوب ولا يزال، إلّا أنّه أمسى عبورًا نحو الحياة الأبديّة (١تس ٤: ١٣-١٤؛ في ١: ٢٠-٢١).

ثالثًا، التربية المسيحيّة دعوة للعيش بتكامل بين إيماننا وحياتنا اليوميّة. يُظهر تعليم الرسول بولس أنّنا لسنا لأنفسنا، بل للمسيح (١كو ٦: ١٩)، لأنّنا كلّنا الذين اعتمدنا بالمسيح قد لبسنا المسيح (غل ٣: ٢٧). من هنا، أحد أهداف التربية المسيحيّة إرشادُ المؤمن إلى اقتفاء المسيح في كلّ شيء حتّى يمسي خليقة جديدةً وسفيرًا للمسيح عن استحقاق (٢ كو ٥: ١٧، ٢٠). يدعو الرسول بولس أهل كورنثوس ليسلكوا كروحيّين لا كجسديّين (١ كو ٣: ٣). تتحدّى هذه الدعوة مفهوم «الحياة الروحيّة» لدى الكثيرين. يدعو الرسولُ المؤمنَ ألّا يحصر المسيح بين جدران الكنيسة التي ربّما يزورها في الآحاد والأعياد، وألّا ينحصر ذكره للربّ فقط في أوقات الصلاة، بل أن يعيش بنقاوةٍ حتّى يجد المسيح في الآخر، ويكتشف عظائم الله في أبسط تفاصيل حياته. التربية المسيحيّة السليمة تساند المؤمن حتّى يأتي بثمار الروح (أف ٥) ويتجلى بالعيش بأخلاق وتسامح (١كو ٣: ٥، ٨-٩). وعى بولس أنّ الإنسان، رغم اعترافه بالله، لا يحبّ الالتزام بما يستوجبه الإيمان حقًا، فيأتي قوله منبّهًا: «وإن كان لي كلّ الإيمان حتّى أنقل الجبال، ولكن ليس لي محبّة، فلستُ شيئًا. وإن أطعمتُ كلّ أموالي، وإن سلّمتُ جسدي حتّى أحترقَ، ولكن ليس لي محبّة، فلا أنتفعُ شيئًا» (١كو ١٣: ٢-٣). لا بدّ للتربية المسيحيّة أن تُظهر الرابط الأساسيّ بين الإيمان المسيحيّ والحياة الأسراريّة التي نحن مدعوّون لعيشها في الكنيسة وخارجها. يبرز موقف بولس حول كلٍّ من الإفخارستيّا والزواج المقدّس، إذ يشدّد من جهة الإفخارستيّا على أن يكون تناول المؤمن جسدَ الربّ ودمَه بقلب نقيّ متصالح مع الله ومع نفسه ومع الآخر (١كو ١١: ٢٦-٢٨). أمّا من جهة الزواج المقدّس، فيدعو الرجلَ والمرأة إلى التشبّه بالمسيح بالمحبّة والبذل والتضحية في الحياة العائليّة اليوميّة (أف ٥: ٢٥).

أخيرًا، تفترض التربية وجودَ طرفَين: المربّي والتلميذ (أو المتعلّم). أمّا التربية المسيحيّة فتشترط عنصرًا ثالثًا هو الروح القدس الهادي إلى الحكمة والرازق الفهم والفطنة. الروح القدس وحده يقودنا نحو الفهم، ويبعث المحبّة في قلوبنا، فنتحوّل إلى الإيمان بالثالوث القدّوس (غل ٤: ٦). الروح الذي يعمل في نفس المتلقّي هو نفسه يحرّك المربّي. الخبرة التي نقلها المربّي والرسول بولس هي، أوّلًا وأخيرًا، خبرة محبّة عظيمة للربّ يسوع (غل ١: ١٦)، كما أنّها خبرة شغفٍ وشوق حتّى يتيح لسامعيه أن يتذوّقوا تمامًا ما سبق وتذوّقه: «ما لم تَرَ عينٌ، ولم تسمع أذنٌ، ولم يخطر على بال إنسان: ما أعدّه اللهُ للّذين يحبّونه» (١كو ٢: ٩).

للإطلاع على أخبار الأبرشية:

www.facebook.com/metbei

أو

www.quartos.org.lb

طريق وصاياه، ويدفعنا بصلاحٍ إلى طاعةٍ تقود إلى المجد. لذلك استطاع الرب نفسه أن يصبح طريقنا (يو ١٤: ٦)، إذ لا يُمضى إلى المسيح إلا بالمسيح. هو يسير معه وبه، ذاك الذي يتقدم في درب صبره وتواضعه، وفي سفرٍ كهذا، لا غياب طبعًا لشمس الكدّ المحرقة، ولا لغيوم الكآبة، ولا لعواصف الخوف. بل وتصادَف فيها مكائد الأشرار، واضطهادات الكفرة، وتهديدات المتسلّطين، وإهانات المتعجرفين. إن ربّ الجنود وملك المجد (مز ٢٣: ١٠) قد جاز كل ذلك في حالة ضعفنا وفي جسدٍ مماثل لجسد الخطيئة (رو ٨: ٣)، لكيما إذا كنا في وسط مخاطر الحياة الحاضرة، نؤثر بالأحرى تذليلها بالصبر على تجنّبها بالهروب.

القديس لاون الكبير